الجارديان: حرب على النساء في غزة.. هل سيتجاهلها الغرب؟

الأربعاء 14 فبراير 2024 07:08 م

في مقال رأي كتبته "نسرين مالك"، تسلط صحيفة "الجارديان" الضوء على الحرب التي يخوضها الاحتلال الإسرائيلي على النساء.

وتقول الصحيفة: "في بعض الأحيان تكون الكارثة كبيرة جدًا لدرجة أن تفاصيلها تحجب. فبالإضافة إلى عدد القتلى والنازحين في غزة، كان الصراع قاسيًا بشكل غير متناسب بالنسبة للنساء والفتيات. وفي "انعكاس قاس" لتاريخ هذا الصراع، قالت رئيسة هيئة الأمم المتحدة للمرأة لوكالة أسوشيتد برس، إن النساء والأطفال تحملوا وطأة الحرب".

وأضافت: "هناك حوالي 50 ألف امرأة حامل في غزة، وقد تم تصنيف 40% من حالات الحمل هذه على أنها عالية الخطورة؛ حيث تلد 180 تلد امرأة يوميًا".

طُمست البنية التحتية للرعاية الصحية. تلد الأطفال على الأرض في البرية، ويتم قطع الحبال السرية بأي أداة حادة في متناول اليد، والعلب المملوءة بالماء الساخن تحافظ على دفء المولود الجديد. فالعمليات القيصرية، المؤلمة في أعقابها حتى عندما تكون الأدوية وفيرة، يتم إجراؤها دون أي تخدير على الإطلاق من قبل جراحين ليس لديهم أي ماء لغسل أيديهم، ناهيك عن تعقيمها، ولا مضادات حيوية لأي التهابات ناتجة. في بعض الحالات، ووفقًا لتقارير واشنطن بوست، تم إجراء عمليات قيصرية على النساء بعد الوفاة. وبحسب منظمة الرعاية الخيرية: "لا يوجد طبيب أو قابلة أو ممرضة لدعم النساء أثناء المخاض. ولا يوجد مسكنات للألم أو تخدير أو مواد نظافة عندما تلد النساء".

عندما تنتصر الأم والطفل في هذه الظروف المستحيلة، تواجه الأمهات النزوح والجوع بينما يُرضعن دموعًا مؤلمة وجروحًا وأطفالًا يعانون من سوء التغذية. وكان على النساء الحوامل أن يقطعن رحلة طولها 20 ميلاً من الشمال إلى الجنوب في غزة. ويصلون في ظروف تقول اليونيسف إنها "تتجاوز عتبة المجاعة"، وهي مثيرة للقلق بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بمصير عشرات الآلاف من النساء الحوامل والمرضعات، اللاتي يستهلك غالبيتهن نوعًا واحدًا أو نوعين فقط من الطعام.

لا تستطيع الأمهات الحصول على ما يكفي من الغذاء والمياه النظيفة لإنتاج الحليب لأطفالهن، وعندما يتوفر حليب الأطفال في مخيمات النازحين، فإن العثور على المياه النظيفة التي تغلي وتختلط بها يشكل تحدياً يومياً.

وقال تقرير لقناة سي إن إن في نوفمبر: "إن العديد من جوانب الأمومة، التي كانت في السابق روتينية، أصبحت الآن مسألة حياة أو موت".

وأشارت "الجارديان" إلى أن أولئك الذين يصلون إلى تلك الولادات المؤلمة غير المدعومة وما يتبعها من هشاشة هم المحظوظون؛ فبعد أسابيع فقط من بدء الحرب، وردت تقارير عن ارتفاع حالات الإجهاض والإملاص بنسبة 20%. ومع نزوح ما يقرب من 85% من سكان غزة الآن، واستقرار أعداد كبيرة في المخيمات، فإن الحجم الحقيقي لوفيات الأمهات ووفيات الرضع وأزمة فقدان الحمل هو بالتأكيد أكبر مما تشير إليه تقارير المساعدات والمنظمات الإخبارية. لكن ما يجب أن تمر به الفتيات والنساء لا ينتهي عند هذا الحد.

وفي مخيم تبلغ مساحته 5 كيلومترات مربعة في رفح، لا يُسمح بدخول أي مساعدات، مما يؤدي إلى تجويع السكان من الغذاء والإمدادات الطبية ومنتجات النظافة والمنتجات الصحية. ونظرًا لعدم توفر منتجات الدورة الشهرية، يضطر أولئك الذين ينزفون بعد الولادة أو بسبب الإجهاض، وكذلك النساء والفتيات في فترة الحيض، إلى استخدام أجزاء من نسيج الخيمة والملابس وقطع المناشف المقطوعة، مما يزيد من خطر العدوى والتسمم. يوجد حمام للاستحمام واحد لكل ألفي شخص ومرحاض واحد لكل 500 شخص.

ورأت "الجارديان" أنه كان من المزعج أن نكون في تيار الخطاب النسوي السائد خلال الأسابيع القليلة الماضية، مع ظهور كل هذا. ومن المثير للدهشة أن نشاهد الأمر يدور حول ترشيحات فيلم "باربي" التي لم تكن ظاهريًا كافية لجوائز الأوسكار، والتي ساهمت فيها "هيلاري

كلينتون" نفسها، بعد أن أعلنت اعتراضها على دعوات وقف إطلاق النار. ولكن هناك دوافع أخرى، من غير المريح التفكير فيها ولكن من الصعب تجاهلها، والتي تقلل من التركيز على الوضع اللاإنساني والملح بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بالنساء والفتيات في غزة.

ويُنظر إلى المرأة الفلسطينية على أنها لا تتقاسم هذا النوع من القيم التي يُطلب منها إنقاذها. إن حقيقة تصويت غزة لصالح حماس قبل 18 عامًا قد تم نشرها لإثبات أن هناك مسؤولية جماعية عن أفعال الحركة في 7 أكتوبر، وأنه لا يوجد أبرياء. وفي دافع آخر، أصبح نظام القيم بأكمله في غزة موضع تساؤل من خلال إثارة ميزات مثل الافتقار إلى حقوق مجتمعات الميم الملعونة. ويُنظر إلى هذه العوامل على أنها عوامل ينبغي أن تبطل التعاطف مع سكان غزة وتجعلهم موضع شك ومتحالفين مع حماس، حيث تعتبر إسرائيل الطرف الذي يتقاسم القيم التقدمية الليبرالية.

إنها حجة بمثابة سباق إلى قاع الإنسانية، وتعطي ترخيصًا لتشويه سمعة شعب بأكمله بأسوأ الجرائم، والتنازل عن مسؤولية التفكير النقدي والتعاطفي حول الثقافات والسياسة التي شكلتها سنوات من الاحتلال والأزمات والحصار.

في الولايات المتحدة، قالت إحدى الناخبات في البرنامج الإخباري Face the Nation، إنها تشعر بالقلق بشأن حقوقها الإنجابية، ولكن سيكون من "النفاق" استخدام هذه المخاوف لتبرير التصويت لصالح "جو بايدن" عندما يدعم الإضرابات والحصار على شعب التي أدت إلى تجارب كارثية عاشتها الأمهات.

وختمت "الجارديان": "يبدو أن هذا النوع من الوضوح هو أمر كثير يجب طرحه في الوقت الحالي، وسط التأثيرات المتنافسة لضيق الأفق والقبلية والدعاية. لكن التفاصيل القادمة من غزة واضحة للغاية، ولا هوادة فيها، وقد يكون الآن هو الوقت المناسب للتفكير في ما تعنيه القيم التقدمية، سواء كانت نسوية أو غيرها، إذا توقفت عند عتبة ما هو مألوف".